دخلت القافلة مناطق سيطرة الفصائل المسلحة بعد تفتيش منع عددا من المواد الطبية (أ ف ب)

التحرك على الأرض ترافق مع حراك ديبلوماسي غربي واسع مع الجانبين الروسي والإيراني، إذ شدد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين، خلال اتصال هاتفي، على أهمية تنفيذ القرار الدولي «2401» المعني بالهدنة، بما في ذلك وصول المساعدات الإنسانية وإجلاء المصابين والمرضى.

ورأى بيان الرئاسة الفرنسية أن روسيا وإيران «هما البلدان اللذان يستطيعان تحريك الأمور إذا التزما بذلك». وطلب ماكرون من نظيره تمكين قوافل المساعدات من «الدخول بدون عوائق ومن دون أي تأخير إضافي». المداولات الرئاسية الفرنسية ـ الروسية، ترافقت مع تصريح لافت من الرئيس الإيراني حسن روحاني، على هامش لقائه وزير الخارجية الفرنسي جان ايف لودريان، في طهران، إذ قال، وفق ما أورد موقع الرئاسة الإيرانية الرسمي، إن «السبيل الوحيد لحلّ الأزمة السورية هو دعم الحكومة المركزية في دمشق». وترافقت هذه التطورات مع انتقادات من وزارة الخارجية الروسية للقرار البريطاني الذي تبنّاه مجلس حقوق الإنسان، إذ قالت في بيان إن «رفض قبول التعديلات التي تهدف إلى إدانة العمليات الإرهابية في سوريا، وقصف الأحياء السكنية... ودعوة الجماعات المسلحة إلى السماح للمدنيين بمغادرة الغوطة» دليل على دعم تلك الدول لتلك الفصائل. وفي السياق نفسه، أكدت وزارة الدفاع أن الولايات المتحدة الأميركية هي من يخرق قرار مجلس الأمن حول الهدنة، لكونها «لم تفعل شيئاً لكبح جماح المتشددين، الخاضعين لنفوذها في الغوطة الشرقية».

وبعيداً عن الغوطة، تتابع القوات التركية عمليتها العسكرية في منطقة عفرين، وسط تقدم لافت وضعها على أعتاب مركز ناحية شران ومنطقة كفرجنة التي سبق أن استضافت مركز القوات الروسية في عفرين سابقاً. وتبرز أهمية هذا التقدم للجانب التركي، لكونه يضع الجيش التركي والفصائل المتحالفة معه على بعد أقل من 15 كيلومتراً عن مدينة عفرين، ويعطيه المجال للسيطرة على مركز الناحية الرابع في منطقة عفرين، بعد بلبل وراجو وشيخ الحديد. وجاء ذلك بالتوازي مع وصول تعزيزات تركية جديدة إلى منطقة لواء إسكندرون، قبل انتشارها على محاور القتال الغربية في عفرين. وبالتوازي، شنّ سلاح الجو التركي عدة غارات في محيط ناحية جنديرس، تسبّبت في استشهاد وإصابة عدد كبير من المدنيين. وأفادت مصادر في مشفى عفرين بأنه تم استقبال 22 جريحاً أغلبهم من الأطفال، موضحة أن أغلب تلك الإصابات «خطرة جداً»، في حين لم تؤكد المصادر عدد الشهداء من المدنيين في الغارات التي استهدفت مركز ناحية جنديرس.
(الأخبار)

غولن

حكومتي الجانبين: اتفاقية أولى بخصوص «حماية الاستثمارات وتعزيزها بين الدولتين»، واتفاقية ثانية تتعلق بـ«التعاون في مجال الصيد والاقتصاد البحري»، هذا في حين كانت الاتفاقية الثالثة حول «التعاون في المجال السياحي». وأما مذكرتي التفاهم الموقعتين فلم تبتعد أيضاً عن المجال الاقتصادي: تعلقت الأولى منهما بـ«مجال الهيدروكربون والمعادن»، فيما تعلقت الثانية بـ«المجال الزراعي».

بعيد ذلك، غرّد الرئيس التركي، في حسابه على «تويتر»، قائلاً إنّ بلاده «تخطط لشراكة في مجالات عدة مع موريتانيا» مشيراً إلى ما جرى عقده وتوقيعه من مشاريع مشتركة. وبدوره علّق الرئيس الموريتاني، قائلاً إنّ زيارة الرئيس التركي لبلاده قد أدّت إلى «نتائج إيجابية»، وأنها «ستفتح آفاقاً لتطوير التعاون بين البلدين الشقيقين في مجالات استراتيجية كالزراعة والمعادن والتجارة والسياحة». ولم يفت الرئيس الموريتاني، في ذلك الصدد، «تثمين» وقوف نظيره التركي إلى جانب «مجموعة الساحل الخمس» في جهودها «للتصدي لمخاطر الإرهاب والتطرف والتهريب وتجارة المخدرات».

ترتبط نواكشوط بعلاقات مع السعودية والإمارات على حساب قطر حليفة تركيا (أ ف ب)

وفي تحليل وتقييم للزيارة، يؤكد الباحث في الشؤون الأفريقية سيدي ولد عبد المالك، لـ«الأخبار»، أنها «خطوة نحو إذابة جليد العلاقات بين البلدين بعدما شهدت فتوراً كبيراً، لعل سببه الرئيسي يعود إلى حالةٍ من غياب الثقة بين النظامين على أساس دعم تركيا للربيع العربي والتيارات الإسلامية في مقابل مواقف النظام الموريتاني المتحفظة والمتوجسة من الربيع العربي وإفرازاته». وكتحديد للطابع العام للزيارة، يضيف ولد عبد المالك: «يبدو أن المحور الاقتصادي كان الأبرز في الزيارة التي دامت فقط لساعات قليلة، فتركيا لديها عدة أدوات لإيجاد موطئ قدم في القارة الإفريقية، إذ إنها من جهة تستخدم التعاون العسكري والجوانب الصحية والاجتماعية لتعزيز تعاونها مع أفريقيا، مع التركيز في نفس الوقت على الشق الاقتصادي، وقد اصطحب الرئيس أردوغان معه 140 رجل أعمال موزعين على مجالات وقطاعات تجارية واقتصادية مختلفة». ويُبدي اعتقاده بأنّ الزيارة «مهمة في حد ذاتها، وإن كانت نتائجها ضعيفة قياساً بنتائج زيارة باقي المحطات الأفريقية والعربية كالجزائر والسنغال ومالي».

بدوره، لا يختلف رئيس «المركز المغاربي للدراسات الاستراتيجية»، ديدي ولد السالك، كثيراً في رأيه بالزيارة، إذ يرى في تصريح إلى «الأخبار» أنّ «البعدين السياسي والاقتصادي هما محورها»، وأنها «تدخل ضمن الاستراتيجية التركية للاستفادة من السوق الأفريقية الواعدة؛ لأنها ما زالت قارةً بِكراً، وستكون هي محرك النمو العالمي خلال العقود المقبلة».

ذكرى

سنة على استشهاد باسل الأعرج:
«المثقف المشتبك» لم يمُت

رام الله ـ **مي رضا**

كان بإمكان الشهيد باسل الأعرج أن يجلس في الصيدلية التي يعمل فيها في شعفاط، وأن يقْصُر نشاطه على التنظير مستفيداً من معارفه التي اكتسبها بقراءاته واطّلاعه الواسع، أو أن يكتفي بفعاليات المقاومة الشعبية التي كان يشارك فيها دائماً. كان المجال مفتوحاً للشاب الذي تحل ذكرى استشهاده الأولى اليوم، كي يبادل بعض سنوات عمره ـ وإن طالت ـ بالبقاء على قيد الحياة، وذلك بترك العدو الإسرائيلي يسجنه بعد خروجه من سجون السلطة الفلسطينية في أيلول 2016. لكنه أبى إلا أن يُطبّق ما كان يدعو إليه بحذافيره، فهو القائل: «عش نيصاً وقاتل كالبرغوث». لقد أراد أن يصِف دواءً من نوعٍ آخر لوطنه، وهو ما حدث فعلاً في قصة اختفائه ومعركته الأخيرة.

التكتيك والثقافة

ثمة معادلاتٌ أو قوانين وضعها باسل الأعرج (31 عاماً) لنفسه في مفهوم المقاومة، ولخّصها لغيره في أسلوبٍ بسيطٍ، أبرزها «المقاومة جدوى مستمرة»، وقد أطلقها خلال شرحه لشبابٍ فلسطينيين، أثناء رحلةٍ إلى جنين شمالي الضفة المحتلة، حيث تحدث عن دور «حرب الاستنزاف الطويلة مع العدو في إرهاقه وكسر شوكته في نهاية المطاف»، مستشهداً بإخلاء العدو مستوطناته من جنين عقب انتهاء الانتفاضة الثانية بفعل «شراسة مقاومة أهل المدينة على امتداد الانتفاضتين الأولى والثانية» وما قبلهما، ليورّثوا أبناءهم أرضاً خالية من الاستيطان.

أيضاً، استحوذ أسلوب «حرب العصابات» على فكر باسل واهتمامه؛ فالأسلوب المبني على تكتيكات، مثل الكر والفر والتمويه والاختفاء وتسديد الضربات الخاطفة، كان جزءاً كبيراً من اهتماماته في لقاءاته داخل القاعات أو خلال الجولات التي كانت تنظّم لزيارة مواقع عمليات سابقة، أو حتى خلال النزهات المخصصة للتعرف على جغرافيا الضفة والقدس.

ومن الأفكار التي آمن بها «الباسل» التوعية قبل خوض الثورة، على نسق ما قاله الأمين العام الراحل لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، جورج حبش، «المقاتل غير الواعي سياسياً كأنما يوجه بندقيته نحو صدره». كما كان يستحضر مثل هذه المواقف عبر صفحته في «فايسبوك»، إضافة إلى حرصه الدائم على تدقيق العمليات الفدائية التاريخية واستخلاص العِبر منها. هكذا، لم يكن الأعرج «المثقف المسلح» فقط، بل لعب دوراً تخلّت عنه الفصائل الفلسطينية في الضفة خلال السنوات الأخيرة الماضية، وهو التعبئة الفكرية والوطنية.

وصحيحٌ أن الأعرج ليس النموذج اليتيم لـ«المثقف المقاتل»، لكنه برز لأن مثل هذا النموذج غاب عن الضفة لنحو عقد، إذ كان الشهيد محمد شحادة في بيت لحم يمثل حالة شبيهة، قبل أن يغتال في آذار 2008. أسباب كثيرة تقف خلف هذا التراجع، إذ لم يعد خفياً حجم الاختراق الذي أدّاه التطبيع ومؤسساته، مقابل انكفاء الفصائل وإحجام المثقفين عن التحريض على فكرة الثورة أو المقاومة في الضفة. إلى حدٍّ ما، يعيد باسل الإرث الطبيعي للصحافي المقاوم يامن فرج الذي كان يكتب في الصحف المحلية باسم مستعار، ويواصل دوره المقاوم في مدينة نابلس (شمال) خلال انتفاضة الأقصى. والحديث عن الثقافة هنا يتخطّى الأساسيات، لأنه لا مبالغة إذا قلنا إن باسل حفظ فلسطين عن ظهر قلب، منذ وقوع البلاد في الاستعمار ومرحلة الانتداب، ثم مرحلتي العصابات الصهيونية والاحتلال، وكان يحرص في سبيل ذلك على توثيق عددٍ كبير من الروايات التاريخية الشفهية من كبار السن (عن النكبة) للحفاظ عليها.

«بدك تصير مثقف، بدك تصير مثقف مشتبك، ما بدك مشتبك؟ لا منك ولا من ثقافتك»، وكما بدأ المقاومون الفلسطينيون مقاومتهم بالأدوات البسيطة، كالحجارة والمولوتوف وصولاً إلى الأسلحة على تنوعها، هذا ما طبّقه الأعرج عندما باشر المقاومة الشعبية، وقطْع الطرق الالتفافية أمام مركبات المستوطنين، فيما تصدّرت صورُه الاحتجاجات على زيارة وزير الجيش الإسرائيلي الأسبق، شاؤول موفاز، إلى رام الله عام 2012، ما تسبب آنذاك في تأجيلها. كذلك كانت له مشاركته في مواجهات شمال البيرة، حتى قرر حمل السلاح وبدء مرحلة أخرى.

المطارد الذكيّ

تكشف تفاصيل مطاردةِ الأعرج عن حجم الوعي الذي كان يتمتع به، بدءاً من اختياره مدينة البيرة للاختفاء كزائر أجنبي يتكلم الإنكليزية، خاصة أن المنطقة لا تثير الريبة في ظل أن محافظة رام الله والبيرة تعجّ بالأجانب والمساكن المستأجرة، لكنه لو اختار منطقة ريفية (قرية مثلاً) لاكتُشف بسرعة. أيضاً، لم يعتقل العدو الإسرائيلي رفاق (خلية) باسل مباشرة بعد الإفراج عنهم من سجون السلطة، بل منحوا مهلة طويلة نسبياً مقارنةً بحوادث سابقة مماثلة، في محاولة من مخابرات العدو لاستدراج باسل أو رفاقه أو حتى عائلته، عبر مبادرة الأخير إلى الاتصال الهاتفي أو لقائهم عبر تحرك غير معتاد، لكنه قرر ألا يعود إلى بيته. كان باسل يعرف جيداً أن العدو يراقب كل شيء، ويُدرك أن شركات تأجير السيارات وأصحاب الشقق السكنية عليهم أن يقدموا نسخة من عقود الإيجار بصورة دورية إلى السلطة الفلسطينية، ولذلك لم تكن عملية الاختفاء من أيلول 2016 إلى آذار 2017 سهلة، فمسألة المطاردة في الضفة غدت أكثر تعقيداً مع القدرات التكنولوجية التي تتمتع بها قوات العدو، ولذلك كانت الشهور الخمسة «إنجازاً» رغم انتهائها باستشهاده.

الحُر لا يستسلم

يحفل سجل المقاومة الفلسطينية بمعارك الحصار التي يختار فيها المقاوم أن يشتبك مع قوات العدو في معركةٍ غير متكافئة، على أن يخرج رافعاً يديه ومستجيباً لمكبّرات الصوت، فيما شهد تاريخ الانتفاضة حالات غير اعتيادية، مثل الذي فعله الشهيد حمزة أبو الهيجا في مخيم جنين أمام وحدة «يمام» الخاصة، عندما صرخ بضابط المخابرات: «إذا إنت زلمة اطلع (فوق)، أنا لحالي»، مستفزّاً إياهم وهو يطلق الرصاص على الجنود، وهذا ما كرره باسل الأعرج مع الوحدة نفسها التي قدمت لاستهدافه. ومنذ 2015، تزايدت معارك حصار المقاومين، وعلى الأقل رفض سبعة مطاردين تسليم أنفسهم أثناء الحصار أو الانسحاب عند اكتشاف قدوم العدو، منهم إلى جانب الأعرج وأبو الهيجا: نشأت ملحم من عرعرة في الداخل المحتل عام 48، ومحمد الفقيه من بلدة دورا في الخليل (جنوبي الضفة)، وعمّار الطيراوي من قرية كفر عين في رام الله (وسط)، وصولاً إلى كلٍّ من أحمد إسماعيل وأحمد نصر جرار، فيما يواصل الاحتلال مطاردة عبد الكريم أبو عاصي منذ مطلع شباط الماضي. هكذا، في السادس من آذار 2017، وبينما كان أفراد «يمام» يتسللون تحت جنح الظلام ليضربوا ضربتهم الخاطفة، استقبلهم الشهيد باسل الأعرج برصاص بندقيته، إذ أظهر تسجيل بثّه الإعلام العبري آنذاك كيف باغت باسل الجنود خلال اقترابهم من «السِدّة» (سقيفة الشقة) التي كان يتحصّن فيها، إذ لم يستسلم إلى أن أصابه رصاص الجنود بعد نفاد ذخيرته، وكانت كل الطلقات التي تلقّاها من الأمام لا الخلف.